مقاصد السور القرآنية – 1 – د. محمد الخضيري –



بسم الله الرحمن الرحيم
مقاصد السور القرآنية

اللقاء الأول: 8-11-1430هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى صحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فهذا هو المجلس الأول من مجالس الحديث عن مقاصد سور القرآن، والتي أرجو الله سبحانه وتعالى فيها أن يعيننا على إتمام هذه المقاصد، وأن نمرّ على سور القرآن سورة سورة، فنتحدث عن مقصود كل سورة من سور القرآن، حتى يتبين لنا كثيرا من معاني هذه السورة.

أيها الأحبة: الحديث عن مقاصد السور لا يكاد يكون مذكورًا في مجالس الدروس والمساجد، لذلك أحببنا أن نتحدث عنه، حتى تُعرّف الناس به، وحتى يكون طريقا لفهم القرآن، ومعرفة مقاصده وأغراضه، من خلال التعرف على الموضوعات الأساسية، والأهداف الكبرى لكل سورة، وهذا العلم أشار إليه جمع من المفسرين، بل واعتمده بعضا طريقا لفهم آيات السورة، ومعرفة موضوعاتها، والربط بينها وذكر مناسبات هذه الآيات وأيضا لمعرفة المناسبات بين مقاطع السور وبين قصصها المذكورة فيها، وبين أولها وخاتمتها كما سنبين إن شاء الله تعالى.

في هذا المجلس سنتحدث عن مُقدمات مهمة في مقاصد سور القرآن، وسنكمل بقية هذه المقدمات في المجلس القادم ثم بعد ذلك نأخذ سور القرآن من الفاتحة إلى سورة الناس بإذن الله -عز وجل- سورة سورة، ونتحدث في كل سورة عن مقصودها من خلال جمع كلام أهل العلم في مقصود تلك السورة، ثم بيان ما هو المقصود الذي يترجح لدينا، ثم ذكر الأدلة التي تبين أن هذا هو المقصود من تلك السورة، وماذا نستفيده من تحديد هذا المقصود، فبإشارة إلى أهم موضوعات تلك السورة، ومعرفة معانيها.

أيها الإخوة الكرام: نحن نقرأ مثلا سورة البقرة، وهذه السورة طويلة، تقع في قريب من خمسين وجهاً من كتاب الله -عزّ وجلّ-، وإذا نظرت إلى هذه السورة، وجدت فيها موضوعات كثيرة، وجدت فيها الحديث:

- عن قصة آدم وخلقه.

- وعن قصة إغواء إبليس له.
- وعن قصص بني إسرائيل وما حدث لهم مع أنبيائهم.
- وعن ذكر البر، والقصاص، والوصية، والصيام والجهاد، والحج، والحيض، والعِدد، والطلاق، وعدة المتوفى عنها.
- وذكر أيضا الموت والأدلة على البعث.
- وذكر النفقة وأهميتها والترغيب فيها.
- والتحذير من الوقوع في الربا.
- وذكر المعاملات المالية.

كل هذه الموضوعات عندما تنظر إليها نظرة سطحية، ستجد أنها موضوعات متفرقة، وليس بينها شيء يربط بينها، ولكن عندما نتحدث عن مقصود السورة، ستعلم بإذن الله كم كانت هذه السورة محكمة، كما قال الله – عز وجل-: { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ {1}[هود: 1]، فما جعل الصيام بجوار الوصية إلا لحكمة، وما جعلت آيات الربا بجوار آيات الأمر بالإنفاق والحثّ عليه إلا لحكمة، وما ختمت هذه السورة بآيات المعاملات إلا لحكمة، وما افتتحت هذه السورة واختتمت بمثل ما افتتحت به إلا لحكمة، وهذا يبين لك أن هذا القرآن منتظم وأنه في غاية الدقة والإحكام، والجودة والإتقان، كما قال الله – عز وجل -: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر:23]، فهذا الكتاب أحسن الحديث، وهو مثاني: يعني تثنى فيه الأحكام والأخبار والمواعظ، و تكرر وتردد بصور متنوعة، وبطرائق مختلفة، ووصفه الله في هذه الآية بأنه متشابه، متشابه بمعنى التشابه العام، في الجودة والإتقان والبلاغة، والروعة والجلالة، والبهاء والجمال، وحسن السبك والنظم، وهذا ما سنبينه إن شاء الله، من خلال هذا الدرس الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون مباركاً وأن يكون خالصاً لوجه الكريم، وأن يكون نافعا لنا جميعا في فهم كلام ربنا.

نبدأ أول ما نبدأ بالتعريف بعلم مقاصد السور ...

تعريف علم مقاصد السور:
فأول مسألة تأتينا في هذا الباب: تعريف مقاصد، ما الذي يراد بكلمة مقاصد؟
هذه الكلمة تدور في لغة العرب على معنى **التوجه والنهوض إلى الشيء**، فإذا قال العربي: قصد فلان إلى كذا، أي توجه إليه يريده دون ما سواه، نهض إليه، يريد الوصول إليه دون ما سواه، فلو قلت قصدت مكة، يعني توجهت ونهضت إليها أريدها دون ما سواها.

إذن: فالمقصد هو العمدة الذي يُتوجه إليه الكلام ويرجع إليه.

يقول الفراهي: يبين المقصد الأساسي فيقول: **" هو جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه التركيبية ولكنه يسري فيه كالروح والسر، وربما يحسن إخفائه، فلا يُطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه"،** تأمل هذه الكلمة من هذا الإمام، وهو الفراهي وهو من علماء الهند، يبين أن جماع الكلام أي ما يجتمع من هذا الكلام وما يُقصد منه هو المراد بقولنا مقصود السورة، وأن هذا في الغالب يكون خفياً، ليس جلياً ظاهراً، وبذلك يقول" فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام، والتدبر فيه" يعني لا نستطيع الإطلاع عليه في غالب الأحيان إلا بعد ما نتأمل وندقق ونجتهد،ويقول: **"إن النظر في آيات السور لا يدع شكاً أن عمود الكلام** – ويقصد بعمود الكلام مقصود الكلام أو مقصود السورة- **ليس إلا الأمور الكلية، التي لا تتعلق بوقت ولا زمان"** هنا يبين أن المقاصد لا يمكن أن تكون أشياء جزئية، بل لا بد أن تكون أشياء كلية عظيمة يُقصد إليها، ولذلك يمكن أن نستنبط من كلامه أن المقاصد لا بد أن تكون أمور كلية ليس متعلقة بزمان ولا بمكان، وأيضا هي معاني خفية، لا يوصل إليها إلا بالاجتهاد والنظر والتأمل ودقيق الفكر.
*وبهذا يمكن أن نعرف مقصد السورة بأنه **:" <u>مغزى السورة الذي ترجع إليه معان السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها" .</u>**

إذن يمكن أن نعرف مقصد السورة: "مغزى السورة الذي ترجع إليه معان السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها".

فعندما تنظر إلى المقصود تجده مركوزاً في كل موضوع من موضوعات السورة، وتجده بيناً واضحاً، يتراءى لك عندما تدقق في نظرك، وتتأمل تأملاً جيداً.

*ويمكن أيضا أن نقول بعبارة أخرى إن مقاصد السور: **<u>علمٌ يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها، ومضمونها.</u>**

المغزى يعني الحكمة التي قصدت السورة لتحقيقها والهدف الأعلى والغاية العظمى التي جاءت السورة لتحقيقها.

*وقد عرف البقاعي هذا العلم فقـال: **هو علمٌ يعرف منـه مقاصـد السـور، وموضـوعه آيـات السـور، كـل سورة على حده.**

يعني أننا بهذا العلم نستطيع الوصول إلى مقصـود السـورة وغاياتهـا العظمى، وموضـوع هـذا العلم أي المكـان الـذي يبحث فيه هذا العلم هو آيات السور كل سورة على حده.

فأنت تأتي إلى سورة البقرة بكاملها بجملتها، من أولها إلى آخرها، تأتي إلى سورة آل عمـران كـذلك، سـورة النسـاء كذلك، مثل ما نقوله في سورة الفاتحة، والإخلاص، والفلق ، والناس، ونحوها من سور القرآن.

المسألة الثانية في التعريف بهذا العلم: ما هي المرادفات لمصطلح مقاصد السور؟

نحن الآن أسميناه مقاصد السور، ولكن بعض العلماء يسميه بغـير ذلـك ونحن سـنذكر هـذه الأسـماء حـتى إذا وجـدت التنصيص عليها في بعض كتب التفسير لا يذهب وهلك إلى شيء آخر، بل هو يتحدث فيما نحن نتحدث فيه...

- فنحن نسميه **مقاصد**- سنصطلح على ذلك سنبقى عليه.
- وبعض العلماء يعبر عنه **بسياق السورة،** ويقول: وسياقها في كذا، ويقولون وسياق سورة الليل في السماحة والبخل، وسياق سورة الضحى في نعم الله على رسوله.
- وبعضهم يسميها **غرض السورة**، فيقولـون غـرض سـورة القيامـة هـو الحـديث عن يـوم القيامـة، أو الحديث عن القيامة على كل شخص وعلى كل الناس، وغرض سورة قـل هـو اللـه أحـد هـو الإخلاص، إخلاص صفات الرب سبحانه وتعالى وأسمائه، التي لا يشاركه فيها أحد.
- وأيضا يقال فيها **الوحدة الموضوعية،** لما يقال الوحدة الموضوعية في هذه السورة هي كذا.
- كذلك **الوحدة السياقية** في السورة.
- وكذلك من المصطلحات **موضوع السورة العامة.**
- وكـذلك **عمـدة السـورة، وهـدف السـورة، ومحـور السـورة، ومضـمون السـورة، ومـدار السورة، وفلك السـورة، وجـوّ السـورة، وشخصـية السـورة، وروح السـورة،** وكـل هـذه يستعملها المفسرون، أو من يكتبون في التفسير كله أو بعضه للتعبير عن مقصود السورة.

المسألة الثالثة: ما هو الفرق بين موضوعات السورة ومقصود السورة؟

نحن اصطلحنا على أن نسمي هذا العلم **مقصود السورة**، لكن لا بـد أن نوجـد فرقـا بينـه وبين هـذه الأجـزاء الـتي تتكون منها السورة، وهي عبارة عن قضايا مختلفة مذكورة في السورة، عندما تنظر إلى كل قضية تجد أنها مسـتقلة، ولكن هناك خيط رفيع يجمع بين هذه القضايا ويؤلف بينها، هـذه القضـايا سنسـميها نحن **موضوعات السـور**، فمثلا عندما نقول سورة البقرة، سورة البقرة تتحدث عن:

- موضوع خلق آدم.
- عن خروج آدم من الجنة.
- عن نعم الله على بني إسرائيل.
- عن عصيان بني إسرائيل لنبيهم موسى.
- عن إنكار اليهود لنبوة النبي – صلى الله عليه وسلم-.
- عن نسخ القبلة.
- عن بناء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- للكعبة.
- عن البر وتعريفه.
- عن القصاص.
- عن الوصية.
- الصيام.
- الجهاد.

ü الحج.

إلى آخر ما هنالك، هذه موضوعات، فهذه نسميها موضوعات وما نريد الوصول إليه هو المقصود،

نقول مثلا سورة البقرة نجدها اشتملت على موضوعات، منها:

ü **الأحكام التشريعية.** لكن جميع الموضوعات فيها يجمعها مقصد واحد وهو: **تقرير كليات الشريعة.أو حفظ الضرورات الخمس،** وبهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- **"وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم، وقواعد الدين"**
وقال الشاطبي – رحمه الله تعالى في الموافقات: **" لما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أول ما نزل سورة البقرة التي قررت قواعد التقوى المبنية على سورة الأنعام، فبينت العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنايات وحفظ الدين، والنفس والعقل، والنسل والمال، فكان غيرها من السور المدنية مبنيا عليها".**

انظروا – يا إخواني – لهذا الترتيب العجيب: سورة البقرة مبنية على ما ورد في سورة الأنعام من الأمر بتقوى الله، ولذلك هي أول سورة نزلت في المدينة، وهذه السورة بينت العبادات و المعاملات والجنايات والعادات وبينت حفظ الدين، والنفس والعقل والنسل والمال، فكان غيرها من السور المدنية مبنية عليها، يعني ما جاء في سورة آل عمران مبني على ما جاء في سورة البقرة، ما جاء في سورة النساء مبني على ما جاء في سورة البقرة، ما جاء في سورة النور مبني على ما جاء في سورة البقرة، وما جاء في سورة الأحزاب مبني على ما في سورة البقرة، فكل ما جاء في السور المدنية مفرّع على ما جاء في سورة البقرة، وهذا يبين لك أن هذا القرآن نزل محكما، وأن آياته وإن فصلت فإن هذا التفصيل لا يخالف ذلك الإحكام ولا يضاده.

ننتقل بعد ذلك إلى الموضوع الثاني من موضوعات هذا الباب وهو **أهمية علم المقاصد:**
تتبين أهميه علم مقاصد السور من أمور:
الأول: أن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن.

فهذا القرآن أنزل لهداية الناس، وهداية الناس لا تتحقق على وجه الكمال إلا بالتأمل الدقيق في القرآن الكريم، ومعرفة ما أنزل القرآن من أجله، وما أنزل القرآن من أجله لا يتبين إلا بالنظر إلى مقصود سور القرآن سورة سورة، فأنت تنظر إلى تفاصيل ما في هذه السور، ثم تهتدي إلى المقصود من هذه السورة، وإذا اهتديت إلى ذلك كانت هذه هداية عامة، وهذه الهداية العامة هي التي أنزل القرآن من أجلها، {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }[الإسراء: 9] فأنت لما تنظر إلى سورة النساء، سورة ذكر فيها:

ü تعدد الزوجات.

ü وعدم إعطاء السفهاء الأموال.

ü وذكر فيها كيفية تسليم الأموال للأيتام.

ü وذكر فيها تحريم أكل أموال الأيتام.

ü وذكر فيها المواريث.

ü والانتصار لحق الضعفاء في المواريث.

ü وأن للنساء حقاً في المال كما أن للرجال حقاً فيه.

ü وذكر فيها المحرمات من النساء.

ü وذكر فيها حقوق ذوي الحقوق العشرة، { وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا...}[النساء: 36] إلى آخر الآيات.

ü وذكر فيها حكم المرأة الناشز.

وذكر فيها وذكر فيها، وهذه أحكام كثيرة، عندما تنظر إلى كل واحد منها ستجد أنه يهدي إلى شيء مفصل، لكن ما هو الشيء العام الذي يجمع هذه المفصلات، وهذه الأحكام والجزئيات، لابد أن نهتدي إليه، وأن نعرفه وأن نتبينه.

انظروا مثلا عندما تجد أن الشريعة بُنيت على دفع الضرر عن العباد، من أين تأتي بهذا، تأتي به من جملة التفاصيل المذكورة، والأحكام المعروفة في الشريعة، فالشرع يحرم عليك أن تصوم وأنت مريض، ويسقط عنك الحج إن لم تكن تستطيع الركوب على الراحلة، و يأمرك بالتداوي، وينهاك عن أن تشرب أو تأكل شيئاً يضر ببدنك، هذه التفاصيل تدلك على مقصود عظيم، وهو أنه **لا ضرر ولا ضرار في الشريعة**، وأن الشريعة لا يمكن أن تكون تقصد إلى إيصال ضرر بالعباد، في أنفسهم، أو أموالهم، أو أعراضهم، أو عقولهم، أو دمائهم، أو أديانهم، أبداً لا يمكن أن يكون منها ذلك الشيء، فإذا فهمت هذا الأمر فهمت معنى عظيماً ورتبت عليه ما تقيس عليه أن ما لم يُنص عليه الشريعة، فتعرف أنه عندما حرّم الله الخمر إذن المخدرات محرمة؛ لأن حال المخدرات كحال الخمر في ذهاب العقول وفي الضرر بالأبدان، وعندما يأتي إنسان يتحذلق ويقول من أين لكم أن الدخان محرم؟ أنا قرأت الكتاب وقرأت السنة فما وجدت آية حرمت الدخان؟ نقول نعم .. لأنك تريد حروف معينة تقول فيها إن الدخان محرم، لكن نحن ننظر إلى مقاصد عظيمة، جاءت الشريعة لتحقيقها وتقريرها، وبيانها، ويجب علينا مراعاة هذه المقاصد، كذلك -أحبائي- في سور القرآن عندما ننظر إلى السورة نجد أنها سعت إلى تقرير مقصود عظيم هو هداية في تلك السورة، إذن فالبحث عن مقاصد السور يعين على فهم هدايات القرآن، ويجعلنا نلخص تلك الهدايات في قضايا كلية وإجمالية، فانظروا وستلاحظون ذلك جيدا إلى سور القرآن، في كون كثير منها تحدثت عن التوحيد، لماذا لا يأخذ التوحيد بسورة ويكون التوحيد مجملاً في تلك السورة، أو مركزاً عليه في تلك السورة، ويبث هذا البث العظيم في سور القرآن، الحديث عن الرسول ورسالته وصدقه في نبوته، يأتي في أكثر من سورة، لماذا؟ لأن هذا من قضايا الدين العظمى، وهكذا في سائر الأمور.

يقول الغزالي -رحمه الله-: **" وسر الكتاب حاصل في دعوة العباد إلى ربهم المعبود، ولذلك انحصرت سوره في ستة أنواع:"**

انظر كان العلماء يجتهدون في معرفة ما يرمي إليه هذا الكتاب، وما يقصد إليه جملةً، وهذا إنما أخذوه من الجزيئات ثم من الكليات الموجودة في سور القرآن.

"قال ولذلك انحصرت سوره في ستة أنواع: ثلاثة مهمة تناولت معرفة الله، ومعرفة الصراط والمعاني، وثلاثة متمة"

الأولى مهمة والثانية متمة يعني تتميم للأولى لا يتم أمر الأولى إلا بها

"تناولت أحوال الأولياء، والأعداء وسبيل الطاعة"

هذا اجتهاد من هذا الإمام في معرفة ما يدور عليه القرآن، فهو يقول أن سور القرآن انحصرت في ستة أنواع: ثلاثة مهمة تناولت معرفة الله، ومعرفة الصراط والمعاني، وثلاثة متمة وهي: معرفة أحوال الأولياء، والأعداء وسبيل الطاعة".

ويقول الشاطبي -رحمه الله- في كلمة جميلة له في الموافقات:" **فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المُعَبَّر عنه والمراد به، كما يُعلم من أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوصاف، فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام عن آخره فإن فرّق النظر لم يتوصل إلى المراد"**، ولذلك نحن سنستنبط – يا إخواني- من خلال علم المقاصد أسرار عجيبة ورائعة ومهمة يغفل عنها كثير من الناس، عندما تنظر إلى السورة بجملتها، إلى جملة هذه الموضوعات، ماذا يربط بينها، لماذا سبق هذا مع هذا، وافتتحت السورة بكذا واختتمت بكذا، سيهديك هذا إلى معنى عظيم، لم تنتبه له لو أنك نظرت إلى هذه الأشياء اليسيرة.

لعلي بذلك اضرب مثالاً، مثلاً لو جاء إنسان وأدخلك إلى هذا المسجد، وأنت مغمض العينين، فأراك هذا الجدار، قال لك ماذا ترى؟ قلت أرى جدارا، ثم أراك هذا الحامل للمصاحف، قال ماذا ترى؟ تقول أرى دالوبا فيه مصاحف، ثم أراك الباب، ماذا ترى؟ أرى بابا، ثم أراك تلك اللوحة، ماذا ترى؟ أرى لوحة، ثم أقول لك ماذا رأيت؟ تقول رأيت جدارا ودالوبا وبابا ولوحة، هل هذا هو المقصود من هذا المكان الذي أنت فيه؟؟!!! لكن انظر لو أنك قبل أن تدخل إلى المسجد، رأيت المسجد ورأيت المحراب ورأيت المنارة، استطعت من بعد ذلك أن تعرف لما وضع كل شيء في مكانه، ولماذا هذه الصفوف بهذه الطريقة؟ ولماذا المحراب وضع في هذا الجانب ولم يوضع في ذلك الجانب؟ ولماذا اللوحات وضعت عند الباب ولم توضع في المحراب؟ لأنك فهمت ما هو هذا المكان، هذا ليس محلا تجاريا، المحل التجاري أول ما تدخل تجد اللوحات الدعائية تضرب بصرك في كل مكان، أليس كذلك؟ لكن في المسجد.. لا.. المسجد مكان وضع للتعبد، فاللوحات والإعلانات والبيانات والتعريفات توضع في الخلف، حتى لا ينشغل المصلون بها، وتعرف لما وضعت هذه القبة، ولماذا وضعت هذه المكيفات، ولماذا كانت الصفوف بهذا الاتجاه، هذا كله تعرفه، ويسهل عليك فهمه عندما تكون عرفت هذا المكان قبل أن تدخل فيه، أليس كذلك؟ أي نعم.

فنحن نريد أن نفهم حقائق هذه السور، من خلال فهم الجزيئات ليتضح لنا بذلك معاني كثيرة بإذن الله -عزَّ وجلَّ- وأسرار مهمة في سور القرآن.

الثاني مما يبين أهمية علم المقاصد: <u>أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه.</u>

فهو أصل في فهم معاني كلام الله، ولهذا فإن معاني السورة لا تحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها، فنحن لا نستطيع الوصول إلى كل المعاني في السورة، إلا بعد أن ننظر في موضوعات هذه السورة، ثم نفهم الرابط والمقصود الأعظم الذي يجمع هذه الموضوعات، وترتبط وتلتئم به آيات هذه السورة، عندها إذا أعدنا النظر في هذه السورة من أولها إلى آخرها فهمنا فهما آخر وعرفنا لماذا ذكر هذا هنا، ولماذا ذكر هذا هنا، ولماذا افتتح بهذا، واختتم بذاك، فهذه مهمات عظيمة جدا تعيننا على فهم كلام الله، وتبين لنا مقاصد الآيات أو أسرار وضع هذه الآيات في سورها.

يقول الشاطبي -رحمه الله-: **"اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"** يعني أن لو أنك نظرت إلى جزء من الآية لتستخلص حكما فإن ذلك لا يفيدك حتى تنظر إلى كل الآية، فكذلك السورة لن تستفيد منها حتى تنظر إليها كلها من أولها إلى آخرها.

ودعونا ننظر – يا إخواني- إلى سورة البقرة، عندما قال الله -عزَّ وجلَّ-: { الم {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {3} والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {4} أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {5}ـ ألا ترون -يا إخواني- أن هذه قواعد كلية افتتحت بها السورة، جعلها الله شرحا لقوله: { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } من هم المتقون يا رب؟ { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {3} والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {4} ثم مدحهم وزكاهم وبين مآلهم وعاقبتهم فقال: { أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {5}دعونا ننتقل إلى آخر السورة سنبين لكم بالفعل أننا أمام سورة محكمة، وأن الآيات في هذه السورة لم توضع في مواقعها عبثا، بل وضعت لحكمة بالغة، وأن ذلك يُكوّن ويألف هذه السورة تأليفاً بديعاً، ماذا قال الله في آخر السّورة ؟ قال: {لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ } ماذا ؟ { يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ} .

التّقوى ما هي ؟ أن تجعل بينك وبين عذابِ الله وقاية بفعل الأوامر واجتناب النّواهي { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }، { يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {284} قال هناك: { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ } ماذا ؟ { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } يتحَدَّث عن واجبات عن أمور عظيمة لا بُدّ منها.

طيّب، اسمعوا هنا ماذا قال؟ بعد ما ذكر التّقوى في السّياق ماذا قال؟ قال: { آمَنَ الرَّسُولُ} هناك: { يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ } ولم يتحدَّث عن الرّسول ولا عن الصّحابة، ولم يذكُر مَن قام بهذا الأمر على وجهِ الكمال والتّمام. بعد ما ذكر أحكام عظيمة و شرائع كثيرة، وتفاصيل وجُزئيّات، في نهاية السّورة يقول لك: (يا عبدَ الله! إنّ هذا الّذي أنزلْتُهُ عليكم في سورةِ البقرة، مع كثْرَتِها، وعظَمَتِها، وكثرةِ تفاصيلِه قد قام به محمَّدٌ -صلّى الله عليه وسلّم-، وقام به ثُلَّةٌ مِن المؤمِنين، فلا تَظُنّ أنَّ الأمر صَعْبَ المنال، أو أنَّهُ مِنَ المُحال، بل هو في مقدورِ كُلِّ إنسان) { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ } ماذا يا إخوان؟ { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {285}.

ولمّا ذكر الله – عزّ وجلّ – هذا سيقولُ الإنسان: (يا ربِّ! مَن يستطيع أن يُقيمَ الصّلاة؟ مَن يستطيع أن يتَّقِيَك في كُلِّ حال؟ ومَن يستطيع أن يحُجَّ الحجَّ الّذي تَرْضاه؟ وَمَن يستطيع أن يُجاهد الجهاد الّذي طلبتَهُ من عبادك؟ ومَن يستطيع ؟ ومَن يستطيع؟ هذا قد لا يكون مُسْتطاعاً لي في كُلِّ الأحوال، وقد أُقَصِّر، وقد أكونُ عاجِزاً، أو مُخْطِئًا في بعضِ الأحوال، أفرأيْتَ يا ربِّ إن أخطأت، أو نسيت، هل سأخرُج من هذه الدّائرة؟ وهل سأكون ما تحقَّقْت بِما أَمَرْتَني به، ولا جئت بِما طَلَبْتَهُ منّي) فقال الله – عزّ وجلّ – لك:ِ(اطمَئنّ يا عبدي) {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } قال الله: (قد فعلت) كما هو في الحديث الوارد في مسلم .

{ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {286}

يا عبادي ! إذا قمْتُمْ بِما أمَرْتُكُمْ بِهِ، واجْتَهَدْتُمْ في ذلك؛ فإنّي سأغفِرْ لَكُمْ نِسْيانَكُم، وخطأكم؛ عليكم بأن تدعوني، وأن تستغفِروني، وأنا أعْفو عن ذلك كُلِّه.

أرأيتم هذا الانتظام؟ كيف أنّه الآن لو بدأنا نفكِّر، ونقرأ السّورة بهذه الطّريقة ؟

عرفنا: أنّ أوَّل السّورة مُرتَبِط ارتِباط كامل بِآخِرِها .

{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } هنا { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ} هناك: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } هنا {لِّلَّهِ مـا فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُـوهُ } مـاذا ؟ { يُحَاسِـبْكُم بِـهِ اللّـهُ فَيَغْفِـرُ لِمَن يَشَـاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء}.

معقول بعد 49 صفحة يأتي الكلام؛ لِيُتِمّ الكلام الأوَّل في الآيات الخمس الأولى.

نعم، { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ {1} -لا إله إلاّ الله- هذا كلامُ الله! وهذا نظْمُهُ وبيانُه! .

الثالث: مِمّا يُبَيِّن لنا أهميّة علم المقاصد: أَنَّهُ يُعين على فهْمِ كتابِ الله فَهْماً صـحيحاً، ويوصِـلُ في معرِفةِ الحقّ في تفسيرِ كلامِ الله
فنحن عندما يختلف المفسِّرون، أو تعدّد الأقـوال، نلجـأ إلى معرفـة مقصـود السّـورة؛ حـتى نُـرَجِّحَ بين الأقـوال، وفي الوقتِ ذاته نعرِفُ به الخطأَ من التفسير؛ ولذلك يقولُ البقاعي -رحمه الله- صـاحِبُ كتـابِ: [نَظْمِ الـدُّرَر]، وصـاحب كتاب: [مصاعد النَّظرِ في مقاصد السُّور] في ثلاث مجلّدات، وغايتُهُ -أي معرفة المقصود- **(وغايَتُهُ معرفةُ الحــقِّ من تفسـيرِ كُـلِّ آيــةٍ من تلـك السُّـوَر؛ ومنفَعَتُـه: التَّبَحُّر في علْمِ التّفسـير؛ فإنَّهُ يُثمِـرُ التّفصـيلَ والتّيسير؛ فينشَغِلُ به قبل الشُّروعِ في التّفسـير؛ فإنَّهُ كالمُقَدِّمـةِ لـه من حيثُ إنَّهُ كـالتّعريف؛ لأَنَّهُ معرِفةُ تفسيرِ كُلِّ سورةٍ إجمالاً) .**
الرّابع: ممّا يُبَيِّن أهميّة هذا العلم: أنَّ بِهِ نَعْرِفُ الخطأَ في التّفسير، وهـو زيـادة بيـان للمسـألة الثّالثـة أو للأمر الثّالث.
يقول عبد الحميد الفراهي؛ العالِم الهندي : **(إنَّ فَهْمَ القرآن مُحَوَّلٌ إليه** – يعـني إلى المقصـود ونظـام السّـورة – **والوجوهُ الكثيرةُ في التأويـل، وعـدم الاعتمـادِ على تأويـلٍ صـحيح؛ إنَّمـا ينشـأ من عـدمِ المعرفـةِ بالنِّظام –** يعني: من عدَمِ المعرفةِ لمقصود السّورة – **فإنَّهُ هو المُعْتَمَدُ في صـحيحِ التّأويـل وربـطِ شـكوكِ الحَيْرة ".**
الخامس: ممّا يُبَيِّن أهميّة معرفة مقاصد السُّوَر:
أنَّ تفسيرَ القرآن باعتبار مقاصد السُّوَر هو المنهج الأسلم الّـذي يجعـلُ كلامَ اللـهِ مُؤتَلِفـاً مُنْتَظِمـاً على نحوِ كمالِ نَظْمِهِ وَمَعْناه، وتكونُ السّورةُ معه؛ كالبناءِ المرصوص، والعِقد المتناثر.
قال البقاعي في بيـانِ أَثَـرِهِ في السّـورة: **(تكونُ السّورة كالشَّـجَرَةِ النَّضـيرةِ العاليـة، والدَّوْحـة البهيجـةِ الأنيقةِ الخالية، المُزَيَّنَةِ بأنواعِ الزّينةِ المنظومة، بعدَ أنيقِ الوَرَقِ بِأفنانِ الدُّرّ، وأفنانُهـا منعقـدةٌ إلى تلك المقاطِعِ؛ كالدّوائر، وكُلُّ دائرةٍ منها لها شعبةٌ متّصـلةٌ بمـا قبلهـا، وشُـعبةٌ مُلْتَحِمـةٌ بِمـا بعـدَها، وآخِرُ السّورةِ قد واصَلَ أوَّلَها كما لاحَمَ انتِهاؤها ما بعدَها، وعانَقَ ابتِـداؤها مـا قبلَهـا، فصـارت كُـلُّ سورةٍ دائرةٌ كبرى مشـتمِلةٌ على دوائـرِ الآيـات الغُـرّ، البديعـةِ النَّظْم، العجيبـةِ الضّـمّ، بلينِ تعـاطُفِ أفنانِها، وحُسْنِ تواصُلِ ثِمارِها وَأغصانِها) .**

يقول: السّورة الواحدة مثل الشّجرة الواحدة لها أصل تجتمع عليه، ثمّ لها فروع وأفنان، وفي هذه الأفنان أوراق، ومن وراءِ هذه الأوراق ثمار، فأنت عندما تنظُر إلى الثّمرة تظنّ أنّها ثمرة مستقلّة، لكنَّها في الحقيقة متّصلة بماذا ؟ بأصـلِ تلك الشّجرة، كيف اتّصلت؟ لا بد أن تعرف الطّريق الّذي اتّصلت بـه إلى أصـلِ الشّـجرة، ولا يمكن أن تقـول أنّ لـون هذه الشجرة أصفر من خلال نظرك إلى الثّمرة، إذا نظرْت هذه النَّظْرة؛ فإنَّك ستُخطئ في فَهْم حقيقة هذه الشجرة.

السّادس: ممّا يُبَيِّن أهميّة علم المقاصـد: أنَّ مقصَـد السّـورة يُعينُ على تَـدَبُّرِها، واسـتخْراجِ دقـائقِ معانيها
ولهذا عَلِمَ ابنُ عبّاس؛ أنَّ سورةَ النّصر من مقاصِدِها إعلامُ النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- بِدُنُوِّ أجلِـه، فهـذا اسـتنبَطَهُ ابنُ عبّاس من مقصود السّورة.

عمر بن الخطّاب كان يُقَدِّمُ ابنَ عبّاس؛ فيدخُلُ مع أشـياخ الصّـحابة، فكـانوا يقولـون: (إنَّ لنـا أبنـاء مثـل ابن عبّـاس، فلماذا لا يُدْخِلُ أبناءَنا معه) فأراد عمر أن يُبَيِّن لَهم أنَّ ابنَ عبّاس له مَزِيّة ليست في غيرِه من أبنائهم، فلمّا اجتَمَعــوا ذاتِ يوم وابنُ عبّاسٍ فِيهم، قال عمر: (ما تقولون في قولِ الله تعالى: { إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ {1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا {2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا {3} ما تقولون في هذه السّـورة ؟ فقـال الصّحابة: أمر الله نبيَّهُ -صلّى الله عليه وسلّم- إذا فتح الله عليه ودخل النّاس في دينِ اللهِ أفواجاً أن يُسَبِّحَ بِحَمْـدِ رَبِّهِ وَيَسْتَغْفِرْه إنَّهُ كانَ تَوّاباً) وهذا الفَهْم الّذي فَهِمَهُ الصّحابة فَهمٌ صحيح، وهو ظاهِرُ الآيات، ولا إشكالَ فيه ولا غُبارَ عليه، ولكن عمر هل يُمكن أن يسألَ النّاس عن معنًى ظاهر بهذه الطّريقة؟ .

يعني: لــمّـا أقول لك ما معنى قول الله -عزّ وجلّ – { وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ } تقول: أمر الله في إقام الصّــلاة وإيتاء الزّكاة , أقول: أنا لا أقصد هذا؛ لأنّ هذا واضـح لي ولـك ولكُـلِّ مَن يقـرأ كلامَ اللـهِ – عـزّ وجـلّ – ، وليس محَلاًّ للسُّؤال. محَلُّ السُّؤال: ما هو مغزى السّورة ؟ ما هو الّذي ترمي إليه هذه السّورة وتهدف إليه؟ من الرّسالة المُبَطَّنة الخفيّة الّتي جاءت ضمن آيات هذه السّورة. لا يصل إليها إلاّ الغوّاصون الّذينَ يُحْسِنونَ الغَوْص في المعاني والـدَّقائق.
ثمّ قال: (ما تقول فيها يا ابنَ عمِّ رَسولِ الله ؟ فقال ابنُ عبّاس المُلْهَم الّذي استجابَ الله تعالى فيه دُعـاءَ رسـولِهِ -

صلّى الله عليه وسلَّم-: ((اللهُمَّ فَقِّهْهُ في الدّين وَعَلِّمْهُ التأويل)) قال: (هذا أجلُ رسولِ الله -صلّى الله عليه وسلّم- يا أميرَ المؤمنين. قال: واللّهِ ما أعلَمُ منها إلاّ ما عَلِمْت) يعني: لا أعلمُ منها إلاّ أنَّها تقصِد إلى إيصال هذه الرِّسالة لرسولِ الله.

تأمَّلوا – يا إخواني – لماذا قال لِرَسولِ الله: إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح، ودخل النّاس في دين الله؛ فسبِّح بحَمْدِ الله واستَغْفِرْه، لماذ يُقال له هذا الكلام ؟ لأنَّك يا محمّدٌ ! قد أدَّيْت ما عليك، وانتهت المُهِمّة الّتي وُكِلَت إليك، فاستعِدْ لِلِقاءِ رَبِّك واستغفِر ربّك، وسبِّح بحَمْدِه .هذا هو المقصود .

الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- كان يُكْثِر أن يقول في ركوعِهِ وسجودِهِ: " سُبْحانَكَ اللهُمَّ رَبَّنا وَبِحَمْدِك اللهُمَّ اغْفِرْ لي " وهو يستقبِلُ بذلك أجَلَهُ ويسْتَقْبِلُ لِقاءَ اللهِ -سبحانه وتعالى- .

لمّا أنزل الله في يوم عرفة: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} أكثرُ الصّحابة -رضوانُ الله تعالى عليهم- فَرِحوا ابتسموا وتهلّلت وجوههم بِشْراً؛ لأنَّ اللهَ قد أكْمَلَ الدّين وأتمَّ النِّعمة، ومن بينهم أبو بكر؛ بدأ بالبكاء، لِمَ تَبْكي يا أبا بكر؟ ألا تفرح بهذه البِشارة الرَّبّانيّة للإنسانيّة؟ { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}؟ ألا تفرح بِما رضيَهُ الله لنا ؟ فقال: قد نعى اللهُ لنا رسولَهُ صلّى الله عليه وسلّم .

إذا تمَّ شَيْءٌ بَدا نَقْصُهُ *** فرَقِّب زوالاً إذا قيلَ تمّ

رأيتم كيف أنَّ أبا بكر نظر إلى شيْء آخر من وراء ظاهر الألفاظ والعبارات، وهو المقصود .

أيضاً السّابع: ممّا يُبَيِّن أهميَّةَ المقصود: <u>بمعرفةِ مقصدِ السّورة تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات بين آياتها فتكون لُحْمة واحدة يجمَعُها معنًى واحد.</u>

إذا عرفت المقصود عرفت لماذا ذكر الله هذا؟ ولماذا ذكر الله هذا ؟ ولماذا ذكر الله هذا ؟

ونذكُر مثالاً لذلك سورة النّور: سورة النّور مقصودُها العناية بالعِفّة، وسدّ سُبُل الفساد الأخلاقي. هذا هو مقصودُها .

طيّب، اقرءوا معي: { سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {1}النور

أوّل شيء ما هو؟ { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ } بعدها ؟{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء } في نفس الموضوع وهو قذف النّاس بالزِّنى، والحديث بالعبارات الّتي تُشَوِّش على النّاسِ أخلاقهم، وتتّهم البُرَآء من غيرِ بَيِّنة، والتّشديد في أمرِ عِفّةِ اللّسان.

ثمّ يأتي من بعدِها: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ } في ذات الموضوع: الزَّوْج يرمي امرأته، والعادة أنّ الزَّوْج لا يمكن أن يَرْمي امْرأته إلاّ وقد رأى شيْئاً، فجعل الله -عزّ وجلّ- له مخرَجاً في اللِّعان.

ثمّ { إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ } وحادثة الإفك كما تعلمون -أيُّها الأحبّة- مدارُها على اتّهام أُمِّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بِما كانت بريئةً منه، وهو اتِّهامُها بالزِّنى.

ثمّ يُبَيِّن ما هي الآداب الّتي يجب على المسلمين أن يسلُكوها عندما يسمعوا مثل هذه التُّهمة لِأيِّ بريء.

ثم يختم قِصّة عائشة بقولِ الله -عزّ وجلّ- { الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ} أي: عائشة، وصفوان، وأبو بكر، والرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- { مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } انتهت القصّة .

ماذا يأتي بعدَها ؟{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا } لماذا شرع الله الاستئذان ؟سؤال؟؟ من أجلِ أن لا تقع العيون على شيْءٍ لا يحل لها من عوراتِ المسلمين، فوُقوعُها على عوْرات المسلمين؛ سيُوقِعُها في العَوْرات، وسيجعلُ النّاس يعبثون بِأعراضِ إخوانِهم، فإذا يحقّ لك أن تفتح أيْ باب أمامك وتدخل، أليس في هذا انتِهاكاً لِحُرُماتِ النّاس؟! فقد تجد امرأةً على حالٍ لا يَسُرُّ أهْلَها أن تَرَوْها على تلك الحال، وقد يكونُ سبباً في وقوع الجريمة؛ ولذلك قال بعدما ذكر آيات الاستئذان قال: { قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } فبدأ بِغضِّ البصر؛ لأنَّ الاستئذان جُعِلَ من أجلِ البصر.

ثمّ انتقل بعد غضِّ البصرِ إلى حفظِ الفَرْج؛ لأنَّ غَضَّ البصَرِ سبيلٌ إلى حفظِ الفَرْج.

ولمّا ذكر هذا في حقّ المؤمنين ذكره في حقّ المؤمنات فقال: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ } بعد أن ذكر غضّ البصر، ذكر في الطّرفِ الآخر مَن يحلّ للمرأة أن تُظهِر زينَتَها لهم، فبين من هؤلاء، إن كانوا أجانب وإن كانوا أقارب، قال: { وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا } وقال: { وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ } .

ولمّا انتهى من هذه الأحكام الّتي تُعين على التّعَفُّف جاء إلى أهمِّ أمرٍ يُعين على تعَفُّفِ النّاس وهو: (الزّواج ،الأمرُ به) { وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ثمّ قال بعدها: { وَلْيَسْتَعْفِفِ } رأيْتم أنّ هذه السّورة سورة ماذا؟ سورة العفة، { وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا } إذا كنت لا تجد نكاحاً ولا تستطيعه، أو لا تقدر عليه لعدم وجود الزّوجة أو لعدم وجود المهر، أو لعدَمِ تَوَفُّرِ الأحوال؛ فعليك بالاستعفاف أن تطلُبَ العِفّة وتجتهد في طلبِها وتبذلك قصار الأسباب للوصولِ إليها، { وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} رأيتُم – يا إخواني – كيف؟ .

وفي آخِرِ السّورةِ يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ } عورات تسمّيها ماذا؟ عورات {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}، {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ }

رأيتم ؟ أنّ السورة في أوّلِها وآخِرِها تُريد تقرير هذا المبدأ، وتعيد عليه.

الآن لمّا فهِمْنا أنّ السّورة تتحدّث عن العِفّة، عرفنا: أنّ هناكَ ارتباطاً بين جُزْئيّاتِها وأحكامِها، وأنّ هذه الأحكام لم تُذْكَر شَتاتاً وسُدًى من غيرِ أن يكونَ بينَها رابط.

يقولُ البقاعي: **"وَمَن حقَّقَ المقصودَ من السّورة عرف تناسُبَ آيِها وقصَصِها وجميعِ أجزائها"**
ويقول: **"الأمرُ الكُلّي المُفيد بِعِرْفانِ مُناسباتِ الآيات في جميعِ القرآن، هو أنّك تنظُرُ الغرض الّذي سيقَت له السّورة"** حتى تعرف مناسبات السّورة أعرف الغرض التي سيقَت من أجلِهِ السّورة، **"وتنظر إليه ما يحتاجُ ذلك الغرض من المقدِّمات، وتنْظُر عندَ انجِرارِ الكلامِ في المُقدِّمات إلى ما يستَتْبِعُه من استشرافِ نفسِ السّامع من الأحكام واللّوازم التّابعةِ له".**
الثّامن: ممّا يُبَيِّنُ أهميَّةَ معرفة مقاصد السُّوَر: <u>أنَّ هذا الاتِّجاه في التّفسير هو لوْنٌ من تفسيرِ القرآنِ بالقرآن؛ لأنّنا نجتهد في فَهْمِ القرآن بالنّظر إلى آيات القرآن .</u>
التّاسع: <u>أنَّ عِلْمَ مقاصد القرآن يُبْرِزُ إعجازَ القرآنِ وبلاغَتَهُ وكمالَه ودِقَّةَ نِظامِه؛ فإنَّ من إعجازِهِ وبلاغَتِه نظامُ السّورة ووحدةُ بنائها وترابُطِها؛ ولذلك تحدّى العربَ بِسُوَرِه.</u>

وهذا يُبَيِّن – يا إخواني – ويوضِح لنا كيف أنَّ القرآن تحدّى بسورة، وما تحدّى بآية، لماذا؟ لأنَّ السّورة هي الّتي يظهَرُ بِها الإعجاز؛ في أوّلِها، وفي آخِرِها، وفي موضوعاتِها، وفي مقاصِدِها. أمّا الآية؛ فإنَّهُ قد لا ينتَظِم بها إعجازٌ تام؛ إنَّما ينتَظِمُ الإعجاز بالسّورة {فأْتوا بِسورةٍ مِثْلِه } { فَأْتوا بِسورةٍ مِنْ مِثْلِه } { فَلْيَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيات} .

آخِرُ هذه الأسباب أو الأمور الّتي تُبَيِّن لنا أهمِيَّةَ عِلْمِ المَقاصِد: **العاشر: <u>أنَّ هذا العلم يَبْعَثُ على رُسوخِ الإيمان.</u>**
فإذا عرف الإنسان أنَّ القرآنَ مُحْكَم، وأنَّهُ مَنْظومٌ نَظْماً عظيماً؛ فإنَّهُ لا شكَّ سيكونُ في نفسِ المسلم من قُوَّةِ الإيمان، ومن العناية بالقرآن والإقبال عليه، والتّحاكُم إليه ما لا يكون لو لم يعْرِف هذه المقاصد .

نقف عند هذا الحدّ، ونسألُ الله – سبحانه وتعالى – القَبول .

يقولُ السّائل: **ما هو أفْضَلُ كتابٍ لمقاصِدِ السُّوَر؟ وهل هذا الدّرس يومي أو أسبوعي ؟**

الجواب: أوّلاً: لم يُكْتَب في مقاصد سُوَر القرآن كتابٌ مستَقِلّ، لكن قام الشَّيْخ: محمَّد الحمَد بِجَمع مقاصد سُوَر القرآن في كتابٍ استَخْلَصَهُ من كتاب [التّحرير والتّنوير] ـ للطّاهر: ابن عاشور، والطّاهر بن عاشور يذكُر في مقدّمة كلّ سورة مقصود السّورة أو هدف السّورة، فجاء الشَّيْخ، وجمع هذه المقاصد، وأخرَجَها في كتاب.

وأيضاً كتب الدكتور: محمَّد الرَّبيعة ـ كتب مقدِّمة في مقاصد سُوَر القرآن وبيَّن أهَمِيَّتَها؛ كما ذكَرْت فهذا الّذي نحنُ نَقْرَأه من كلام الدّكتور محمَّد الرّبيعة في بحْثٍ أعَدَّهُ لِهذا الخُصوص، لكنَّهُ لم يتحَدَّث عن سُوَرِ القرآن سورةً سورة، وإنَّما جعل هذا البحث كالمقَدِّمة .

أمّا هذا الدّرس فَهوَ – إن شاء الله – يوم الثلاثاء المغرب من كُلِّ أسبوع؛ سيكون فيه إن شـاء اللـه تطبيقـات عمليّـة، وأسئلة للإخوة الحاضِرين حوْلَ مقاصد سوَرِ القرآن بإذن الله -عزّ وجلّ – نسأل الله أن يوَفِّقْنا في ذلك.

يقول: س: ماذا نقول للرّافضة عندما يقولوا: (للقرآنِ معنًى ظاهِراً ومَعنًى باطِناً) ؟

الجواب: نقول: إنَّ هذا الكلام صحيحٌ إن أُريدَ به معنى، وباطِلٌ إن أُريدَ به معنًى آخر، فإن أراد القائل أنَّ للقرآنِ معنًى ظاهر، ومعنًى باطن يُخالِفُهُ تماماً ولا صِلَةَ لَهُ بالمعْنى الظّاهر، ولا يفهَمُهُ إلاّ أُناسٌ مَخْصوصـون، ولا يمتّ إلى المعـاني اللُّغَوِيّة وفهم السّلف – رضـوان اللـه تعـالى عليهم – بصـلة، فـإنَّ هـذا المعـنى البـاطن باطـل ومَـرْدودٌ على صـاحِبه، فالقرآن بيِّن وواضح لِمَن تأمَّله { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُـرْآنَ لِلـذِّكْرِ فَهَـلْ مِن مُّدَّكِرٍ } وقـال اللـه – عـزّ وجـلّ – {هَـذَا بَيَـانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } .

فالصِّيام في اللُّغة العربيّة، وفي الشّريعة الإسـلاميّة معنـاهُ واضـح بيِّن؛ فـإذا جئت بمعنًى ليس هـو الصِّـيام الشَّـرْعي، وقلت: هذا هو المعنى الباطن. قلنا لك: من أين لك هذا المعنى الباطن؟ يقول لك: الصِّيام مثلاً هو: الإمسـاك – مثلاً – عن التّرَضّي عن الصّحابة مثلاً، من أين لك هذا المعنى؟ مَن الّذي قال بهذا ؟ .

الصّيام معروف في اللُّغة ومعروف في الشّرع، فمَن جاء بمعنًى يُخالف هذا المعنى فهو كاذب مُفْتَري على الله، يقول على الله بغيرِ علم.

ومَن ذكر – مثلاً – أنَّ الحجّ هو القصد إلى قبورِ الأئِمّة بالطّواف بها ودُعائِها، وسؤالِها قضاء الحاجـات. قلنـا لـه: كـذبت من أين هذا بشرعِ الله؟ وأين ما يدُلُّ عليه في كتابِ الله وسنة رسوله، وإجماعِ سلَفِ الأُمَّةِ الأخيار.

أمّا إذا قال: نعم، القرآن له معنًى ظاهر يظهَر لِأوَّلِ نظر، ومعنًى بـاطن يحتـاجُ العلمُ بـهِ إلى أدوات، وإلى رسـوخ في العلم، وبهذا يتميَّز عامَّةُ الأمَّة عن علمائهم.

هذا صحيح، ولا إشكالَ فيه.

وقصّة ابن عبّاس مع سائرِ الصّحابة؛ تُبَيِّن هذا وَتَدُلُّ عليه. أليس كذلك؟ ابن عبّاس فَهم شيْء لم يفْهَمْهُ الصّحابة، لكن هل الّذي فَهِمَهُ ابنُ عبّاس يُضادّ ما فَهِمَهُ الصّحابة ؟ أبداً. هل هم يختلِفون فيما فَهِمَهُ الصّحابة ؟ أبـداً. هـذا صـحيح ولا إشكالَ فيه .

س: يقول: كيف أُرَتِّبُ وقتي لِحفْظِ كتابِ الله وأنا مُوَظَّف ومشغول بالعائلة وغير ذلك، وكيـف أبـدأ في تفسيرِها ومقاصد السُّوَر ؟

الجواب: أقول – يا أخي – أنت أدرى بوقتِك، وليس أنا الأعلم والأدرى بوقتك، أنت تعرف كيف تتصرَّف مع وقتك، لكن هل أنت مُهتَمّ بحفظِ كتابِ الله ومعرفة بيانِه؟

إن كنتَ كذلك فستجد الوقت، مهما كانت العوائق والأسباب الّتي تمنع الوصول لذلك.

يقولون في كلامِ العرب: (الأحْدَب يعرف كيف ينام) مع أنَّ الأحدب محدودب الظّهر، لكن يعرف كيف ينام.

ونحن نقول لك: إن كنتَ مُهْتَمّاً في حفظِ كتابِ اللهِ -عـزّ وجـلّ- وفَهْمِـهِ فستعرف كيـف ذلـك، وأنـا أُعطي على ذلـك نماذج وأمثلة؛ سأُبَيِّن لكم أنَّ هذا الأمر ميْسور لِمَن أراده، وقد حفِظَ القرآن أُنـاسٌ في غايـة مـا يكونـون من الشُّغُل، وكثرة الأعباء، أو وَفَّقهم الله لحِفْظِ أجزاء كثير منها .

الآن في السَّيّارة؛ ما الّذي يمنَعُك أنّك تأخذ صفحة من المصحف وتضعْها أمامك، وتُرَدِّد الآيات واحدة تِلوَ الأُخـرى، خُـذ في كلّ مشوار إلى عملك آيَتين في سطرين ولا تزيد.

أنا متأكِّد أنّك خِلال أربع سنوات ستختم القرآن حِفْظاً عن ظهرِ قلب كأحسن ما يكون الحفظ.

حدَّثني أحد زُمَلائي الدّكاترة من مصر يقـول: رأيْتُ رَجُلاً صـاحِبَ سـيّارةِ أُجْـرة حَفِـظَ القـرآن بالسّـماع في مشـوارِهِ اليومي من الإسكندرية إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى الإسكندرية خلال أربع سنوات، وضع المسجِّل معـهُ على آيـات القرآن ويسمع. مثلاً : وضع الحُصَري، ويسمع في الذّهاب والإياب يُرَدِّد الآيات، وكُـلّ مـا حَفِـظ مقطـع انتقـل للمقطـع الّذي يليه، قال: حتى ختم القرآن.

همّة... همّة الحفظ؛ فالقضيّة قضيّة همّة وليست قضيّة وقت.

في العمل أنت على مكتبك بإمكانك تضع المصحف مفتوحاً، أو الآيات الّتي تُريد تَرْدادها وكلّما انتهيت وأنت تشتغل تكتب أو تُحَرِّر أو تعمل بيدك تأخذ آية وتقرأها تُرَدِّدها 30_ 40_ 60_ 100_ 200_ 300_ 500 مرّة .

نحن مشكلتُنا – يا إخواني – أنَّنا نستعجل الحفظ، وعندما نسمع أنّه في ناس حفظوا القرآن في شهرين نحن نقصّر في حفظ القرآن؛ لأنَّنا لا نستطيع أن نحفظُهُ في شهرين، بل ولا ثلاث، بل أنا حاولت أحفَظُهُ في خمسة أشهُر ما استطعت، أو في ستّة ما استطعْت .

يا أخي: القرآن الأصل ما يُحْفَظ إلاّ في مُدّة طويلة، ويحتاج إلى وقت طويل حتى يحفظه الإنسان .

وهؤلاءِ الّذينَ يحْفَظونَهُ في شهريْن إمّا أن يكون حفظُهم أو عقولُهم خارِقة للعادة، وهذا نادر جدّاً ولا يكاد يُوجَد .

أو الثّاني أنَّهم استطاعوا الحفظ المَبْدَئي الذي نسمّيه نحن التليين، لكنَّهم يحتاجون بعد الشّهرين إلى سنتين مراجعة، وفي هذا صارت النّتيجة واحدة.

يعني: الذي حفظ القرآن في سنتين، الذي حفظ القرآن في شهرين النّتيجة واحدة -يا إخواني- ما في أحد في نهاية المطاف يكونُ القرآن حيّاً معه في كلِّ وقت؛ حتى تمرّ به مدّة كافية من أجل أن يرسَخ هذا الحفظ، ويقرّ في قلبه؛ ولهذا أقول لك: لمّا ذكرت هذا المثال أنّ بالإمكان أن تحفظَ القرآن، تحفَظ أجزاء كثيرة منه بيُسْر وسهولة.

في إحدى دور القرآن في الرِّياض فتحوا حلْقة صباحيّة للأُمَّهات؛ أنا أعرف واحدة من هؤلاء الأُمّهات عددُهُنَّ سبع، أكثَرُهُنَّ تجاوز الخمسين، وبعضُهُنّ في السّبعين؛ حفِظْنَ القرآن من أوَّلِه إلى آخره بالسّماع .

المعلِّمة تُقْرِئُهُنّ ثلاث آيات، أو آيتين كل يوم فَيَرْجِعْنَ إلى البيت وبالمسجَّل تبدأ تُرَدِّد هذه الآيات؛ حتى تحفَظْها .

تأتي من الغدّ، ثمّ تُسَمِّعْها على المعلِّمة، ثمّ يأخذوا مقْطَعاً جديداً .

عجائب! – يا إخواني -ما ظَنُّك بامرأة قد أنهك الحمل والولادة والرَّضاعة والتّربية جسمها وجسدها، وبلغت السّبعين من عمرِها ماذا تظنّ أنّ من عندها قوّة الحفظ ؟ ! ما عندها شيء. .

يعين: هذه ممكن نجعَلْها صفر في الحفظ، ولكّنَ الهِمّة جعلت منها امرأة تستطيع أن تحفَظ ستمائة وأربعة أوجُه من القرآنِ العظيم بكلّ يُسُر وسهولة.

العمليّة عمليّة إرادة، وليس غير .

وكذلك في التفسير – يا إخواني – كل آيات تحفَظْها، حاول قبل أن تحفَظْها حفظا مُتْقَنا أن تفهم معناها من أي تفسير من التفاسير الموثوقة المُيَسَّرة؛ ستجد أنَّك فَهِمْت القرآن وحفِظْتَهُ بِيُسْر وسهولة.

مرّة من المرّات – يا إخواني – تكلّمت في المسجد وقلت في بداية هذا الشّهر الكريم شهر رمضان ينبغي لنا أن يكون لنا تعاون مع كتابِ الله غير ما كُنّا نفعل، فنحاول أن يكون كلّ الوقت للتلاوة المُجَرَّدة، يكون بعض الوقت في الحفظ، فإنَّ الإنسان إذا حفظ -ذكرت مزايا الحفظ وأهميّة حفظ القرآن للنّاس- ، فأحد جماعة المسجد أخذ كلامي مأخذ الجِدّ وأخذ يُطَبِّق، ويحفظ في السّيارة يُرَدّد في المسجد في كذا .

المهمّ بعد ستّة أشهُر حفظ خمسة أجزاء. يعني من الأحقاف إلى النّاس.

فجاء إليّ وقال لي: أنا الآن عمري ستّين ما حفظت الخمسة أجزاء إلا بعد ما سمعت كلامك، والله وجدت أن القرآن سهل، ووجدت صدق ما قلت في أنَّ الإنسان إذا حفظ القرآن، أو حفظ أجزاء منه لا يضيع عليه شيء من الوقت.

أنا الآن كنت في السّيّارة أتعب من طول الانتظار عند الإشارات والذّهاب إلى المشاوير وأداء بعض الأعمال.

الآن والله ما أُبالي جلست في السّيّارة عشر دقائق أو ساعة يعني: من حين ما أركب بسم الله الرّحمن الرّحيم وأبدأ، أختم نصف جزء أحياناً جزء أحياناً جزْأين، فإذا رجعت البيت حسبت حساباتي ولا يومياً خلصت لي جزء من القرآن جزأين ثلاث أجزاء، توفي-رحمه الله- وكان حريصاً على أن يحفظَ أكبر قدْرٍ ممكن من القرآن.

يقول: ما هو الطّريق الأسلم الّذي يُساعِدُنا على فهم مقاصد سُوَر القرآن الكريم، وما هي الرِّسالة الّتي يجب الأخْذُ بها ؟

الجواب: إذاً أنا أوصيك إن شاء الله أن تحضُر الدّرس القادم الثلاثاء بعد المغرب في هذا المسجد؛ لكي تستمع إليها بشكلٍ مُفَصَّل .

يقول : كيف نقرأ القرآن بتدَبُّر ؟

الجواب: قراءة القرآن بتدَبُّر أمرٌ مُيَسَّر يحتاج منك إلى شيْءٍ من الجَهْد أوَّلاً، ثم يصبِح بعد ذلك أمراً ميسوراً وسهْلاً، وعادةً جميلة: لا ترضى لنفسِك أن تقرَأ شيْءً من كلامِ رَبِّك إلاّ إذا تدَبَّرْتَهُ وفَهِمْتَه.

والتّدَبُّر -يا إخواني- ليس شيْءً واحداً؛ التّدَبُّر مراحل طويلة، وعميقة، وبعيدة الغوص.

فالواجب من التدَبُّر هو: أن تعقِل أصل هذا الكلام؛ ماذا يقولُ الله لك ؟ فيماَ يتحدَّث هذا القرآن؟ وهذا أمرا ميْسور، وليس أمراً صعْباً، وهذا واجب، ما دُمْت تقرأ هذا الكلام: إيّاك، ثمّ إيّاك، ثمّ إيّاك أن تقرأهُ وأنت غافل عنه، لا تعلم منه إلاّ حروفاً وألفاظاً مجتمعة متراكبة دون أن يكونَ لها معاني ومقاصد.

أمّا إذا وضعت عيْنَيْك، والتفت بقلبك، وألقَيْت أُذُنَك فلا بُدّ أن تفهم، وهذا هو الّذي نقصِدُهُ بالتدبُّر.

وهناك فرق -يا إخواني- بين التّدَبُّر والتّفسير:

فالتّفسير هو: أن تصل إلى الفَهْم الصّحيح للآية ماذا قال السّلف فيها؟ وما سبب نزولِها؟ أين النّاسخ والمنسوخ والمكّي والمدني، وما هي القراءات في هذه الآية؟ هذا كلّه يُسَمّى علم التّفسير.

نحن نقول: الواجب علينا أن نتدبّر؛ بمعنى: أن نفهم هذا الخطاب، نعرف ماذا يُريدُ اللهُ مِنّا؟

يعني: عندما تقرأ : {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ {1} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ {2} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ {3} تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً {4}يعني ما تفهم ماذا يقول الله لك؟ ما تفهم ما يقول الله -عزّ وجلّ- في سورة: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {1} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا {2} وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا {3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا {4} وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا {5} وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا {6} وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {8} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} ما تفهم هذه؟ ما تفهم هذه؟ مَن مِنّا ما يفهم ؟

نعم ، ممكن تقول لي: أنا ما أفهم قولَ الله -عزّ وجلّ- {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {1} ضُحى ماذا ؟ الشمس وضح النّهار {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {1} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا {2} وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا {3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا {4} وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا {5} وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا {6}والسّماءَ وما بناها؛ ما بناها؟ ما فهمت .

لكن المعنى المراد في هذه السّورة واضح لِمّا أقول لك: { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا {11} إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا {12} فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {13} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا {14} وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا {15}

المعنى المقصود من هذا واضح وبَيِّن، لكن أن تفهم معنى الدمدم تفهم معناها في اللّغة العربيّة ؟ يمكن ما تفهم تحتاج إلى كتاب في التّفسير يُبَيِّن لك هذا الشيء، لكن ماذا يُريد القرآن أن يوصل لك من المعاني من خلال هذه الآيات هذا بَيِّن واضح، هذا جَلي وظاهر؛ لأنَّ القرآن ليس كتاب أحاجي ولا ألغاز، وليس كتاب مسابقات. هو كتاب: هداية {إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } فالقرآن في هداياته في قواعده في قضاياه موضوعاته بيّن وواضح وجَلي ويمكن لأي إنسان يُتيح لنفسه الفرصة أن يفهم، فيَفهم، وأن يعقل عن الله – عزّ وجلّ – مرادَه .

قد يغيب عنه بعض الأحكام الفقهية والفوائد المُستَنْبَطة، وبعض القضايا الّتي فيها دِقّة .

نعم، أنا أُقَرِّر ذلك، وهذه مهمّة المُفَسِّر والعالم الرّاسخ والإمام الكبير، ولا شكّ أنّ النّاس يتَفاوتون في هذا، لكن المعاني الكُلِّيّة والإجماليّة، والقضايا والمقاصد المهمّة هي بيِّنة واضحة؛ قضيّة التّوحيد، والإيمان بالله، والإيمان بالرّسول، والإيمان باليوم الآخر، والتّرهيب من النّار والتّرغيب في الجنّة، وذكر الأمَم السّابقة، والمُكَذِّبين للرُّسُل، وعقوبات الله للأمم والقرون الخالية، كلُّ ذلك واضح في كتاب الله وبَيِّن، ولا يحتاج مِنّا إلاّ أن نلتفِت بقلوبِنا وعقولِنا

إلى القرآن، وهذا هو المقصودُ بالتّدَبُّرِ {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}

يقول : ما أصلُ تسميةِ سُوَرِ القرآن، وقد تكون بعض الأسماء غير مناسبة لنصّ السّورة ؟

الجواب : هذا إن شاء الله سنُجيب عليه في الدّرس القادم؛ لأنّ له صِلةً بموضوع مقاصد السُّور .

هل يُسمّى القرآن نَظْماً كما ذكرت في المقدِّمة ؟

الجواب: لا، ما يُسمّى، لكن أنا أقول: نَظْمُ القرآن أي: طريقة القرآنِ في تنظيمِ وتنضيد حروفِهِ وجُمَلِهِ وآياته.

فأنا لم أُسَمِّ القرآن نَظْماً، يعني: ما قلت: وقد ذكر الله في النَّظْم كذا وكذا، هل قلت ذلك؟

قلت نظْمُ القرآن أعظَمُ نظْم .

يعني : انتظامُ القرآنِ في آياتِه وفي جُمَلِهِ وسُوَرِه أعظَمُ انتظام.

هل تتعدّد المقاصد في السّورة الواحدة ؟

الجواب: لا مانع، والله أعلم أن يكون هناك للسورة الواحدة أكثر من مقصد، وفي الغالب أنّك تجد مقاصد يمكن اجتماعُها، ويمكن التأليف بينها؛ مثل لو قلت: سورة البقرة هي سورة التّقوى، أو قلت: هي كُلِيّة الشريعة، أو قلت: هي السّورة الجامعة لمعاني الدّين؛ فإنّ التّقوى، كليّة الشريعة، جامعة لمعاني الدّين تجد أنّها متقاربة.

كذلك سورة الفاتحة لو قلت: أنّها أُمُّ القرآن، أو فاتحةُ الكتاب، أو قلت هي سورة العبادة أو الصِّراط المستقيم تجد أنّك أمام أسماء متعدِّدة تصل في نهاية المقصود إلى شيْءٍ واحد والعلمُ في ذلك عندَ الله.

بهذا نصل إلى ختام هذه المحاضرة، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبَّلَ منكم صالح الأعمال، وأن يجعَلَنا ممَّن تفَقَّهوا في الدّينِ وعَمِلوا بتأويلِ الكتابِ المُبين .

السّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته